الجزء ٩ المجلد ٦

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) ايلول سنة ١٩٢٦م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ

عمل الذهب (١)

« بالطريقة الصناعية »

سادتي ، اخواني :

اسمحوا لي قبل ذلك بذكر مقدمة أبين بها الأمر الذي حملني على انتقاء هذا الموضوع دون سواه ، حملني عليه ماأسمعه من آونة الى أخرى من قدوم بعض اشخاص غرباء من جهات مختلفة يدّعون صنع الذهب ، فينقربون من بعض سذج العقول حتى يتوصلوا بدهاء ومكر الى اختلاس أموالهم وثروتهم ويتركونهم حيارى ، ملء رؤوسهم الأمل الذي يدفعهم الى العمل الدائم لإتلاف مايبقى بايديهم ، اوماسيحصلونه في مستقبلهم من مالٍ في نفس السبيل .

وقبل ابداء رأيي الخاص أطرح الاسئلة الآتي ذكرها على بساط البحث لتحليل المسألة تحليلاً دقيقاً .

صناعة الذهب صناعة قديمة ، قال بها الأولون واختلف عليها المتأخرون بين مصدق ومكذب ومثبت ومنكر ، ولا بد لكل شيء من أساس . فهل لهذه الصناعة أساس بني عليه المتقدمون نظرياتهم ؟ وما هو هذا الأساس ؟ وهل توصلوا حقيقة لصنع الذهب ؟

من قرأ يا سادة شيئاً من كتب الأقدمين ، يعلم ذلك الأساس الواضح الذي

---

(١) محاضرة الاستاذ الكيماوي السيد عبد الوهاب القنواتي من أساتذة المعهد الطبي العربي في دمشق ألقاها في ردهة المجمع العلمي في تشرين الاول ١٩٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بنيت عليه تلك النظريات ، وهو قولهم بوحدة المادة ، اي انهم كانوا يعتقدون بان جميع العناصر الموجودة هي من اصل واحد ، فكيف لا يمكن تحويل بعضها الى بعض وذلك بان يعمل من النحاس ذهب ومن الرصاص فضة الخ ؟ ! قام بهذه الفكرة العرب في أدوار حضارتهم ولم يبق منهم صغير ولا كبير الا واكثر التجارب وبذل الهمة في التوصل الى هذه الغاية . فدوّنوا الكتب والرسائل ، وكثر بينهم الجدال والقيل والقال . فكم من معترض أقنعوه ، وكم من مكذب حجوه ببراهينهم الناصعة . وكم من أحمق جاهل ضل في غياهب جهله وأضاع حياته بالبحث الفاسد وذلك لانه فهم من الرموز ظاهرها ، ولم يتوصل لغباوته الى حلها ، ولذلك مال الناس للإنكار حين عجزوا عن كشف ما وراء الستار ! وكم كُتِبَ على صفحات الكتب القديمة كالحواشي بعد ذكر تجربةٍ غامضةٍ مثلاً (اقرأ تفرح جرّب تحزن) .

وحدة المادة هي الأساس الذي بنت عليه العرب نظرياتها واستنتجت منه إمكان تحول المادة من شكل الى شكل آخر ، ومن حالة الى أخرى بالعوامل المختلفة . ماهي تلك المادة الاولية التي هي اصل العناصر ؟ لقد بحث علماء الكيمياء في عامة العناصر المعروفة حتى اليوم ، فوجدوا بان ألطفها وأخفها وزناً الهيدروجين (مولد الماء) الذي هو أخف من الهواء باربع عشرة مرة ونصف تقريباً ، وثقل غرام واحد منه يملأ حجم احد عشر ليتراً وربعاً .

(نقصد بالعنصر الموادّ المعلومة الخواص والتي لا يمكن ان تنتج أجساماً أبسط منها بوسائطنا الحاضرة من حرارة وكهرباء ، والمتكونة ذراتها من عين الجواهر الفردة كالحديد مثلاً . وباتحاد هذه العناصر المختلفة تتكوّن أجسام جديدة تخالف اصولها كل المخالفة فندعوها بالأجسام المركبة كالماء مثلاً المركب من الهيدروجين والأوكسيجين الخ) .

فهل الهيدروجين اصل للعناصر . وهل ذراته المتكاثفة بنسب مختلفة كوّنت العناصر المختلفة الطبائع والصفات ؟ . قبل الجواب على ذلك نقول : ان الكتلة الكبيرة من اي مادة كانت مكوّنة من قطع صغيرة لا تخرج عن جنسها وتلك القطع الصغيرة مكونة من ذرات ، والذرات من جواهر فردة (ويقصد بالجوهر الفرد Atome

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اصغر جزء من المادة) . فالتحويل الذي نبتغيه من المادة هو تحويل هذا الجوهر الفرد اما بتكاثف أجزائه ليصير مادة ثانيـة غيرها ، واما بانقسامه بالذات . واذ كان الهيدروجين أخف العنـاصر المعلومة باتفاق العلماء ، فهل امكن تكثيف جواهره او تقسيمها ؟ لم يعلم التقسيم ولم يتحقق وانما امكن التكثيف . وقد حصل من هذا التكاثف ذرات الهيدروجين . والبون ظاهر ما بين ذراته وجواهره في الطبيعة والصفات والتأثير ! . . .

(نقصد من كلمة ذرة كلّ كتلة حاصلة من تمازج جوهرين فردين فاكثر سواء كانا من جنس واحد او اكثر ، فما تكوّن من عنصر واحد يحافظ على اصله وندعوه بالجسم البسيط وما تكوّن من عنصرين مختلفين فأكثر فهو جسم مركب وقد خصصنا بحثنا على البسائط وتركنا المركبات) .

لنعد الى الذرّات المكوّنة من جواهر هي من جنس واحد ، فلو قابلنـاها باصل جواهرها لوجدنا بينهما برزخاً شاسعاً في الخواص والتأثير والصفات الظاهرة كما قدمنا . فالهيدروجين مثلاً بحالة الجوهر هو غير الهيدروجين في حالة الذرة فانا نجد له تأثيراً شديداً لا نراه في الهيدروجين الذري من حيث ارجاعه مركبات الزرنيخ والأثمد الى اصولها مثلاً . وذلك امر يعجز الهيدروجين الذري عند الإتيان بمثله ، ومن خاصته هذه سمي بالهيدروجين الفعال او المتولد .

وكذلك الفوسفور فانه يتكاثف ذرة اكثر من ذرة اي باختلاف عدد الجواهر في ذراته تختلف صفاته وتأثيراته . فالذرة المكونة من اربعة جواهر (p 7) تدعى الفوسفور الابيض وهو مادة قابلة للتبلور تذوب بكبريت الفحم وتصهر بدرجة + ٤٤ سانتيغراد ، تلمع في الظلام . وتشتعل بتماس الهواء من نفسها حتى بالدرجة العادية من الحرارة وهي من أشد السموم .

والذرة المكوّنة من ثمانية جواهر (p 8) تدعى الفوسفور الاحمر وهي ليست سريعة الاشتعال ولا تذوب بكبريت الفحم ولا تلمع بالظلام ولا يعادل سمها معشار سم الفوسفور الابيض وتأثيرها في العناصر الاخرى قليل .

وهكذا في الكبريت العادي أشكال مختلفة بسبب اختلاف عدد الجواهر الفردة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في كل ذرة منها . والاوكسيجين الذي هو العنصر الاساسي للتنفس كل حي من حيوان ونبات موجود في الهواء المحيط بكرتنا الارضية بحالة ذرات كل منها مكوّن من جوهرين من الاوكسيجين فان تكاثفت جواهره حتى بلغت الذرة الواحدة الثلاثة الجواهر التي هي الجسم المسمى بالاوزون تصبح مادة لا تصلح للتنفس مزيلة للالوان ، قاتلة للجراثيم ، مخربة للاغشية المخاطية ، توجب عسر التنفس ثم الموت .

وثمة صفات طارئة لم يكن لها أثر في ذرة الاوكسيجين الهوائي . وكذلك الفحم فهو في بعض ذراته الكثيرة التكاثف « ماس » يسحر الالباب ببريقه ولمعانه . وفي بعضها القليلة التكاثف « غرافيت » وفي بعضها فحم عادي او حجري عديم الشكل . والبون شاسع بين الفحم والماس . فذرة الماس مكوّنة من اربعة جواهر من الفحم والغرافيت من ثلاثة والفحم العادي من جوهرين . ويقول بعض العلماء ان ذرة الماس مكوّنة من (٣٧٫٧) جوهراً اي انها متكاثفة جداً .

وكذلك الزرنيخ اذا سيقت أبخرته المتصاعدة الى غرفة صغيرة باردة فانه يتوضع فيها بشكل زهر الكبريت العادي مع ان الزرنيخ ذو رونق معدني وبريق خاص . وهذا ناتج ايضاً من تكاثف ذرة اكثر من ذرة !! . فهذا التكاثف سواء كان ثابتاً او غير ثابت انتج لنا نتائج واضحة عن تطور المادة بتحول صفاتها وأحوالها .

ولنعد الى الجوهر الذي رأينا من تكاثفه ما رأينا ولنجرب هل يمكن ان ينقسم؟! امر انقسام الجوهر بحث كبير مازال ولن يزال موضع المناقشة والخلاف ! نعلم ياسادة ان اليونان كما اشتهر في التاريخ منبع لهذه العلوم وقد طرقوا بلا شك هذا البحث ووضعوا اذ ذاك كلمة آتوم (atome) اي جوهر فرد التي لو فسرنا معناها الحقيقي لرأيناها مركبة من كلمتي (a) ومعناها غير قابل . و (tomos) تفيد الانقسام اي غير قابل الانقسام . فيستنتج من هذه الكلمة ان اليونان كانوا يقولون بعدم قابلية إنقسام الجوهر « وقد دار على الألسنة قول الناس هذا جزء لا يتجزأ (مثل سائر) » .

* * *

انتقل العلم الى العرب في دور حضارتهم الزاهرة فبعضهم نحا منحى اليونانيين بالقول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعدم قابلية الانقسام ، وبعضهم أعمل العقل وأجهد الفكر وأكثر من التجربة فقال بالانقسام . ومنذ ذلك الحين نشأ فكر عمل الذهب بالطريقة الصناعية وامكان تحويل المعادن بعضها الى بعض استناداً على قابلية انقسام الجوهر وتكاثفه ! . والادلة على ذلك اكثر من ان تحصى ، منها ما جاء في كتاب المكتسب في زراعة الذهب لابي القاسم العراقي قال : « لانها في الحقيقة قرابة الأجساد الذائبة ومتولدة من اصل مادتها لكن اعترضها عارض في الكيف يبسها وفتتها ومنعها من السبك والتلزز والقيام » . وقول الآخر : « ولهم حجر آخر ميت في رأي العين اذا أحكم تدبيره ، تهالك عليه الملوك وسفكوا دماء بعضهم بعضاً حياله . والحجر الآخر فهو الماء الذي يكون منه حياة هذه الاجساد الميتة لمن يحسن التدبير بتكرار السحق والتشويه والتصعيد والحل والعقد فانه يكون منه الاكسير الاعظم الذي المثقال الواحد على الف الف ومائتي الف مثقال من الرصاص يكون ذهباً ابريزا » .

وقالوا يا سادتي : ان القوة مصاحبة للمادة وهي لازمة لها غير مفارقة ، وتتجلى هذه القوة على المادة بصور مختلفة تتكون تلك العناصر المختلفة . واثباتاً لذلك : اذكر لحضراتكم ما جاء في كتاب البرهان في علم الميزان في الصنعة الالهية لجابر بن حيان قوله : « وها انا أبدي لك معرفة قوى الاجسام الطبيعية العنصرية والتراكيب الحسية المعنوية العملية فتفهم منها بالبرهان الصنعة الالهية . لانه قد تقرر عند الفلاسفة ان الذهب حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه وهو معتدل الحرارة والبرودة والرطوبة والييوسة وان الفضة باردة يابسة في ظاهرها حارة رطبة في باطنها قد غلب جزء من البرودة وجزء من الييوسة . وان الأسرب اي الرصاص بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه مائل عن الاعتدال بالبرودة والييوسة ، وان القلعي اي القصدير حار رطب في ظاهره بارد يابس في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة الييوسة ، وان الحديد بارد يابس في ظاهره حار رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة البرودة وشدة الييوسة ، وان النحاس حار رطب في ظاهره بارد رطب في باطنه منحرف عن الاعتدال بقوة الحرارة والييوسة وكذلك في جميع المعاقير المستعملة في هذه الصناعة الشريفة فهي اذا ظهرت فيها طبيعة كمن ضدها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واختلف ما يقابلها والحاذق الحكيم يبحث عن طبائع هذه وعن درجاتها وثوانيها ، وكم في كل مفرد منها من اجزاء الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة و يتأمل كل ماذكروه من المماثلة والمقابلة فعند ذلك تظهر له النتيجة والبرهان » . الى ان يقول : « واعلم ان الحرارة والبرودة ضدان واليبوسة والرطوبة ضدان ، والمقاومة بالضد ، والحرارة والرطوبة متصادقان والبرودة واليبوسة متصادقان والحرارة يتبعها اليبوسة في الخارج والبرودة يتبعها الرطوبة في الممازجة وكذلك الحرارة ، والرطوبة تتبعها اليبوسة . والبرودة في الممازجة والمقاومة بالمضادة . فان الاشياء تضعف باضدادها وتقوى باشكالها » . ثم يقول : « فان أعطيت الفضة ما نقصها وعدلتها بميزان الاعتدال حتى تدفع ما غلب عليها من البرودة واليبوسة استحالت ذهباً خالصاً وهكذا بقية الاشخاص المعدنية ! ! . » وقد ذكر في محل آخر من الكتاب ما مفاده : «والحرارة تعدلها الرطوبة و بهذا تعمل جميع الاعمال في جميع الكائنات والمكونات بين المواليد الثلاثة المعدن والنبات والحيوان . تألف هذا التعديل العجيب بعضها مع بعض وتخالف بعضها بعضاً وتجلب بين بعضها وتطرد بعضها فهذه صفة موازين الحكماء الداخلة في جميع أعمالهم المؤلفة بين طبائعهم المكتومة لجميع تدابيرهم التي ديروا بها جميع المعادن وألفوا بها جميع الطبائع وأقاموا بها جميع الطلاسم فهي سرهم النافذ فافهم ترشد » . وقد قال صاحب الشذور رحمه الله من قصيدة طويلة :

لنا من قوى مركوزة في الغرائز وقوف على ماافتاض من رمز رامز الخ .

والخلاصة : لقد ظهر من أقوال هؤلاء العلماء بانهم يعتقدون بكمون القوى المختلفة في المواد كل على حسب درجته ! . كيف نعلم وجود هذه القوى ؟ وهل يمكن ان ترى ؟ ان القوة كامنة في المادة تظهر حين ايقاظها وتحريكها . فسلك الكهرباء لا يشعر بالقوة الموجودة فيه الا حينما يلمسه لامس وتختلج أعصابه او حينما يربط بمصباح كهربائي ويلمع ضوءه ، او عندما يربط بمحرك كهربائي فتبدو حركته وهكذا .

لنظر الى هذا المسحوق الابيض (مخلوط السكر وملح برتلو) ولنوقظ قواه الكامنة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه بمحرك . « (التجربة) صُبَّ على المسحوق الابيض زيت الزاج فاشتعل اشتعالاً مدهشاً » .

وها نحن نشاهد من النار والضياء والحركة ما تجزع منه النفوس وترتعد الافئدة . وهكذا البارود يلتهب عندما توقظ قواه المدخرة بقبس ، والديناميت ينفجر حينما توقظ قواه الكامنة فيه بضغط او بصدمة . والهر تبدو قواه فيهتز ويضطرب عندما يرى الفأر ماراً أمامه . والسبع يكشر عن أنيابه ويتحفز للوثوب حينما تتراءى له فريسته . والشريف ينفعل ويحتد ويحتدم بالغيظ حينما تهان كرامته . والخسيس الدنيء الوضيع يظهر لؤمه وخبثه وأذاه عندما يعتلي منصة الحكم وتكون بيده مقاليد الامور . فكل كائن لا بد ان يدخر في نفسه قوة تظهر حين الإيقاظ والدلك والتحريك . وبالطبع من الممكن تحويل هذه القوى من شكل الى شكل وانقاصها او زيادتها . ومثال ذلك القوة الكهربائية الكامنة في بطارية كهربائية تتحول بحسب تجليها الى حركة وضياء وحرارة ، والسبع المفترس ينقلب بالتربية الى حمل وديع يألف البشر ويخالطهم في ملاعبهم وفي حفلاتهم وبصادقهم ويوادهم ، ولكن اساليب هذه التربية مزية يختص بها الله من يشاء من عباده وقليل ما هم !

* * *

خالف علماء العرب بعضهم بعضاً في إمكان هذا التحويل . فقال ابن سينا : ان قلب اعيان صور الموجودات ممتنع ، ولا يمكن انقلاب الذهب الى الفضة كما لا يمكن انقلاب الفضة الى الذهب . ويمتنع ان ينقلب النحاس فضة كما يمتنع ان تنقلب الفضة نحاساً ، وكذلك في بقية الاشخاص المعدنية . لكن ارى بامكان دخول الصبغ الابيض على النحاس فيصير في قوام الفضة ولونها فيكون نحاساً مصبوغاً لا فضة ، ويمكن دخول الصبغ الاحمر على الفضة فتصير في قوام الذهب ولونه فتكون فضة مصبوغة لا ذهباً . فردوا عليه بقولهم : قولك هذا يدل على انك قانع بإمكان دخول الصبغ على الفضة ومسلم فيه . واما انكارك بعدم انقلابه حقيقة الى ذهب ، ذلك لانك لم تطلع الا على ظواهر أقوال الحكماء ، ولم تصل الا الى القشور فعملت أصباغاً زائفة لا قيمة لها . ولكن لو قُدّر لك وحللت تلك الألغاز ووصلت الى اللب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لقلت بان الفضة انقلبت بعد الصبغ والتحليل والتفصيل والتركيب والحل والعقد الى ذهب خالص وليست هي فضة مصبوغة كما زعمت . اذ ما ذا ينقص الفضة عن الذهب غير التلزز في الذرات ! ! . ما ابلغ هذه الحجة وما اوضح معانيها ! . هذا رأي علماء العرب الذي قر رأيهم عليه في عصرهم الذهبي ، ذلك العصر الذي كان يفاخر الجوزاء برجاله العاملين الذين انبثقت من عقولهم أشعة نور كانت اكثر تلألاءً من نور الشمس . تلك الادمغة التي لبست من العلم تيجان العظمة والفخار ، وألبست الكون حُلة الشرف والسؤدد ، لا تزال ولن تزال فخاراً للعالم ، ومجداً للعرب لا يبلى ولو بلي الزمان . وقد كان الغرب اذ ذاك يتيه في ظلمات الجهالة لا مرشد ولا دليل ، فسبحان مقلب الأحوال .

آه واحر قلباه ! . ذُر الرَّماد على تلك النار المتأججة فأخمدها ، وغربت هاتيك الشموس فخيم الظلام على تلك الربوع ، فاستبدل الخوف بالأمن والهمجية بالمدنية والذل بالعز والجهل بالعلم ، فأصبحنا نسمع في هذا الليل المدلهم انات الأيامى وبكاء اليتامى واستغاثة المظلوم فلا حول ولا قوة الا بالله . وبعد ذلك تغلبت الايدي الآثمة وهدمت تلك العروش ودكتها ، واستولت على الكتب فأحرقت معظمها ، ولم تبق الا النزر القليل . وهو اليوم يزين اكثر دور الكتب في اوربا العظيمة و يعد من أهم الآثار العربية القديمة فيها . ثم ما ذا ؟ . اخذت تنبعث أشعة النور الذهبية من بين طيات تلك الصفحات التي ادخرت فيها محصلات عقول اولئك المنكودي الطالع ، فاستنار الغرب وأبصر الحقيقة . فترك التعصب والوحشية وأقبل بجدٍ ونشاط الى حياض العلم فورد الماء زلالاً وطاب له مورداً . ثم تعلَّم وعلَّم فتقدم . وبني على تلك الأنقاض المندرسة صروحاً لا تفنى ولا تتهدم ؟ ! .

***

فهل بحث الغربي في المادة والجوهر وامكان انقسامه او تحوله ؟ . نعم وقد رجع في حكمه الى نظرية اليونان القائلة بعدم الانقسام ، وزاد على ذلك (لافوازيه) العالم الفرنسي الكبير بقوله بعدم إمكان تغير المادة وبكونها ليست فانية ايضاً ووضع قانونه المشهور (Dans la nature rien ne se perds rien ne se crée)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اي لا شيء يفقد ولا شيء يخلق في هذا الوجود » . خالف لافوازيه العرب وله الحق لانه لم يفهم من كتبهم الا ظاهر الاقوال ولم ينجح بالأفعال . لان كتب الاقدمين عبارة عن رموز والغاز كانوا يلقنونها خواص تلامذتهم ويكتمونها عمن لا يستحقها من اهل الغباوة والدناءة فصانوها وضنوا بها ، خوفاً على العالم من الاضمحلال وسوء المآل .

ظل هذا الاعتقاد منتشراً في اوربا ما يقرب من قرن ونيف الى ان اكتشف معدن الراديوم ابو العجائب فبطل حكم لافوازيه وسقط قانونه من شاهق مجده ، اذ ثبت تحول هذا العنصر الجديد من شكل الى شكل آخر . وثبت ان المادة فانية ايضاً كما جاء في نظريات العالم غوستاف لوبون القائلة ان المادة تنقلب بالتدريج الى قوة والقوة الى الأثير ؟ ! .

واليكم ياسادتي آخر حكم بعد طول التجربة والاختبار ! . اكتشف معدن الراديوم سنة ١٨٩٩ العالم كوري وزوجته والعالم بيمون (Bmeont) . وهو معدن متصف بصفات غريبة في بابها من حيث نشره للحرارة والضياء من غير وقوع فعل كيماوي او حكمي ومن غير ان ينقص من وزنه شيء في الظاهر .

ظن العلماء بادي ذي بدء ان اجزاء الراديوم منبع تصعدات ثابتة ودائمة ، اي ان الحرارة والضياء المنبعثين منها ناشئان من تحول القدرة المدخرة فيها الى قدرة فعالة . ولكن مكتشفه كوري وزوجته مع ثلة من ارباب العلم قالوا : ان ذلك ناشيء عن انقسام اجزاء الراديوم وتحولها الى هليوم . فوزن جوهر الراديوم ٢٢٥ والهليوم ٤ . وها كم الاثبات :

قال كوري وضعت نثرة جافة من الراديوم بوزن ٠,٧٠ سانتيغراماً في كرة زجاجية أخليت هواءها وسددتها على النار سداً محكماً . وبعد ان تركتها ثلاثة اشهر عدت اليها قاصداً فتحها بالمبرد « ودفعاً لكل احتمال ستر ت نفسي انا ومعاوني بقوى ثخين » فلم اكد أضع المبرد الا وحدثت صدمة يصحبها اشتعال خفيف وانتثرت قطعة الراديوم في الغرفة اجزاء صغيرة ، بقيت عشرة ايام انا ومعاوني حتى جمعتها . اما اسباب الاشتعال والصدمة فهو انقلاب معدن الراديوم الى غاز الهليوم الذي احدث تضيقاً عظيماً داخل الكرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فبعد ان نشر كوري تجربته هذه في جرائد باريز قام اهل العلم وقعدوا بين مصدق ومكذب ومشبه ، ونظر صودي (Soddy) وراسمو (Rasmoy) مشاهدات كوري هذه واثبتا تحول الراديوم الى هليوم حقيقة ، وذلك انهما أخليا هواء أنبوب زجاجي وجمعا فيه تصعدات راديوم فعال ونورا محتويانه بتصعدات الكتريكية ثم عايناه بمرآة الطيف فرأيا الطيف المخصوص بالهليوم . فأقر اهل العلم حينئذ بالحكم وطأطأوا الرؤوس أمام الحقيقة الراهنة وبالطبع تحققوا ان من قال بامكان تحول المعادن بعضها الى بعض محق في دعواه وبأن العناصر من مادة واحدة . ومن ثم اخذوا ينظرون و (خصوصاً بعض المتأخرين منهم) الى العرب الكرام بعين الاعتبار بعدما كانوا يرمقونهم بنظرات الازدراء والاحتقار .

* * *

وأجمل من هذا نظرية جان بران الحديثة التي شبه بها الجوهر الفرد بالكون فقال : الجوهر الفرد مكون من اجزاء صغيرة غير متجانسة دعاها الكترون . وان هذه الألكترونات ليست بحجم واحد . فبعضها كبير وبعضها صغير ، فالكبيرة تحمل الكهرباء المثبت وتدور على محورها كالشمس ، والصغيرة تحمل الكهرباء المنفي وتدور حول الاجزاء الكبيرة كالسيارات ويتكون من هذين القسمين جملة معتدلة هي الجوهر الفرد . وان جميع الاجزاء الفردية من مادة واحدة واختلافها في الاجسام البسيطة ناشيء عن اختلاف سرعة الاجزاء الصغيرة الدائرة حول الشموس وبعدها عن مركز المحور . واختلاف وزن الجواهر بعضها عن بعض ناشيء ايضاً عن اختلاف عدد الشموس والسيارات فيها . فالجواهر الثقيلة مكونة من عدة شموس وسيارات كثيرة والخفيفة مكونة من شمس واحدة وسيارات قليلة . وهكذا فالراديوم الكثير الشموس والسيارات تتخلص بعض سياراته من الجاذبة المركزية اثناء دورها وتنصاعد بحالة اجزاء صغيرة مثبتة هي الهليوم .

فما أشبه هذه النظرية بنظرية الجلدكي وأضرابه الذين يقولون بان الفرق بين العناصر هو التلزز في الذرات وعدم التساوي في القوى من حيث الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اصغوا اليّ ياسادتي واسمعوا هذه الأعجوبة . قال صاحب الشذور :

فشتان بين اثنين هذا مكوكب يدور وهذا مركز للمراكز
وانهما عند الحكيم لواحد لانهما من واحد متمايز
فهذا على هذا يدور وهذه لها مركز رأس بقدرة راكز
وبينهما ضدان منفي ومثبت لقاؤهما فردين ليس بحاجز
وبينهما جسم مشف كأنه من اللطف فيما بينها غير حاجز
فأعجب بها من اربع حال بعضها الى بعضها عن نسبة في الغرائز

ولا أعلم ان كان هذا من باب تواردالخاطر ما بين صاحب الشذور وجان بران . او ان روح الاول حلت بالثاني بعدمضي ٨٠٠ سنة تقريباً ان كنا ممن يقول بالحلول . والله أعلم .

نتج معنا أخيراً اتفاق الكيمة على وحدة المادة وعلى إمكان التحول ، و بالطبع ليس الهيدروجين هو اصل العناصر لانه جوهر ربما يكون كبيراً ومكوناً من شموس كثيرة وسيارات ، وياتي يوم يتوصل فيه علماء الفن لفصم هذه الكواكب بعضها عن بعض ، والحصول على أجسام أبسط من الهيدروجين . قرأت في جريدة تركية على أثر انتهاء الحرب العامة ولعلها « إقدام » مقالة مترجمة عن مجلة انكليزية مفادها : اثبات إنقسام عنصر الآزوت (وهو العنصر الموجود في الهواء المحيط بنا والذي يؤلف اربعة أخماسه تقريباً) الى غازي الهيدروجين والهليوم . فهذه خطوة كبرى في انقسام المادة ايضاً وربما سنسمع بتحول وانقسام عنصر تلو عنصر ما دام العلم يتقدم الخطوات الى الأمام والمستقبل بيد الله .

* * *

لنعد الى سؤالنا الاخير : وهو هل توصل العرب حقيقة الى صنع الذهب ؟ اجيب عن ذلك بما يأتي :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ولدينا اليوم من تلك الآثار القديمة بعض الكتب المخطوطة والمطبوعة من كتب فن وأدب وتاريخ الخ . وكلها تشهد بانهم كانوا يصنعون الذهب حقيقة . واليكم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما جاء في عيون الأنباء في تاريخ الأطباء لابن ابي أصيبعة في ترجمة ابي بكر محمد ابن زكريا الرازي قال : وكان في اول امره قد عُني بعلم السيمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن وله تصانيف ايضاً في ذلك . ونقلت بالمظفر بن معرف قال : كان الرازي يقول : انا لا أسمي فيلسوفاً الا من كان قد علم صنعة الكيمياء لانه يستغني عن التكسب من اوساخ الناس وينتزه عما في أيديهم ولم يحتج اليهم . ثم قال وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها الى بلادهم ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير وتبين لهم زيفها فجاؤا بها اليه وألزم بردها . وقال ان الوزير كان أضاف الرازي فأكل عنده أطعمة لذيذة لا يمكن ان يأكل أطيب منها ، ثم ان الوزير تحيل بعد ذلك حتى اشترى احدى الجواري التي تطبخ الأطعمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك . فلما صنعت له اطعمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي فلما سألها عن ذلك ذكرت له ان الطبيخ واحد بل اننا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضةً . فسبق الى ذهنه حينئذ ان جودة الأطعمة انما هي من ذلك وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك وانكر معرفته خنقه سراً بوتر . وهكذا ذهب الرازي طعمة المطامع الاشعبية رحمه الله تعالى .

وذكر ابن ابي أصيبعة ايضاً من مؤلفات الرازي اثني عشر كتاباً في الصنعة (اي صنعة عمل الذهب) الاول كتاب المدخل التعليمي الثاني كتاب المدخل البرهاني الثالث كتاب الاثبات الرابع كتاب التدبير الخامس كتاب الحجر السادس كتاب الإكسير وهو عشرة أبواب السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها الثامن كتاب الترتيب التاسع كتاب التدابير العاشر كتاب الشواهد ونكت الرموز الحادي عشر كتاب المجن الثاني عشر كتاب الحيل وختمها بكتاب أثبت فيه ان صناعة الكيمياء صناعة أقرب الى الوجود من الامتناع سماه كتاب الاثبات . وقد كتب الامير خالد بن يزيد لابيه يزيد وكان سافر في طلب العلم وخصوصاً الكيمياء يبشره بنجاح مسعاه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيا راكباً نحو الشآم عشية ... يؤم دمشقاً قف لخمل كتابيا
وبلغ يزيداً حين يتلو رسالتي ... وقل خالداً قد نال ما كان راجيا
الا قد ملكت الشمس والبدر عنوة ... وحزتهما من بعد طول عنائيا

ويقصد من الشمس الذهب ومن البدر الفضة كما هو معلوم من مصطلحاتهم . والامير خالد ممن يستشهد باقواله وافعاله اكثر علماء الكيمياء القديمة . وله كتاب الفردوس الأعلى الذي جمع فأوعى رحمه الله رحمة واسعة .

ومن الشواهد على ذلك قول صاحب الشذور : « وقد ذكروا عنه انه بدأ في تحصيل هذه الصنعة وعمره نحو الثلاثين وبقي يبحث نحو ثلاثين سنة حتى فاز بالغرض ولسوء الطالع لم يعش بعدها اكثر من ست سنوات دوّن في خلالها كثيراً من الحقائق ناظماً عقدها بقصائده الرقيقة التي تدل على مقدرته وعلو كعبه ومن قوله :

فما زلت والاحشاء تهفو كأنها ... لشدة ما ألقى بنار الجوى تكوى
ازيل مصون الدمع في نيل وصلها ... فكنت كأني منه أخبط في عشوا
فلما رأيت الوصل ينأى بجانب ... ولم استطع صبراً على الرشإ الاقوى
وهاج من الأشواق ما بي لو انه ... يهيج برضوى ذاب من حرها رضوى
سألت الذي يحيي الرميم بلطفه ... فيجعله للروح بعد البلى مثوى
ليفتح لي في الحب أبواب وصلها ... فلست على اثقال هجرانها اقوى
فقرّب مني دارها فاذا الهوى ... وان كان مر الطعم احلى من السلوى
ولما التقينا بالمعرف أقبلت ... تواصلني حباً وتهجرني زهوى
فلم أر اشهى من وصال مكدر ... بهجر اذا لم يفسد الكدر الصفوى
فكنت وإياها وقد لفنا الهوى ... كأنا معاً ماء الغمامة والقهوى
فلا تنكرا بعد الفراق اتصالنا ... فما برحت مني على بعدها عضواً
ولا تعجبا ان كنتما قد علمتما ... بتفريقنا جزئين من عودنا جزءاً
لقد خلقت مني بألطف حيلة ... كما خلقت من آدم زوجه حوى
واني وإياها لضدان روحها ... على الوصل بي تنمو وجسمي بها يذوى

فقد ضمن قصيدته هذه رحمه الله الصنعة من أولها الى آخرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن الادلة الواضحة ايضاً ما جاء في مقال الاستاذ محمد كرد علي في الجزء الثالث والرابع من مجلة المجمع العلمي شيد الله أركانه وهو بعد ما جاء في مخلفات سنان باشا احد حكام دمشق سابقاً · و باني جامع السنانية ، نقلاً عن كتاب الباشباة والقضاة الخطي الذي وجد في مكتبة برلين قوله : وفي داخل صندوق منها مائتا مثقال من الاكسير كل مثقال منها على الف قنطار من الحديد يستحيل ذهباً خالصاً ·

فكل هذه الأحاديث و كثرة هذا التواتر تدل على ان الامر واقع لا محالة ·

* * *

انكر علي العرب امرهم هذا كثير من علماء الافرنج وعدوه سخافات وخرافات ، ومنهم من كان يطعن بهم وينسب المشتغلين به الى الجنون (والمرء عدوٌ لما يجهل) · على انهم لم يحرموا من عاقل يقدر الناس حق قدرهم ، او يذكر للموتى حسناتهم ومن هؤلاء العالم فيجيه (Figuier) الذي تعرض بمقدمة كتابه الصيدلة (La pharmacie) وهو يشرح تاريخ الصيدلة حتى دور العرب فقال وأحسن وأنصف في قوله :

Les alchimistes Arabes sont nos véritables aïeux . Si l' alchimie n'a pas trouvé ce qu' elle cherchait, si elle a échoué dans ses longs efforts pour la recherche de la pierre philosophale, elle a trouvé la chimie. Et cette conquête est autrement précieuse que la vaine arcane tant poursuivi par la passion de nos pères .

ومعناه ان سيماء بي العرب هم أجدادنا الحقيقيون ، فاذا لم تجد السيمياء ولم تتوفق بعد العناء الطويل للظفر بحجر الفلاسفة فانها وجدت الكيمياء · وهذا التوفيق اثمن من الأسرار العديمة الفائدة التي أولع بها آباؤنا ايما ولوع ·

اما علماء الفن الحاضر من الافرنج فانهم يبحثون اليوم عن عمل الذهب وقلب أعيان المعادن بعدما تبين لهم قابلية انقسام المادة وتحولها ، وثبت لديهم وحدة المادة ، واكبر دليل على ذلك الموسيو روترفورد العالم الانكليزي وما قام به من قلب عدة معادن بواسطة معدن الراديوم ·

اما فكري الخاص ياسادة فهو إمكان (اعمال الذهب بالطريقة الصناعية) و بان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأقدمين قد صنعوه حقيقه ، ولكنهم حجبوا صنعهم هذا بستار كثيف من الرموز ، لم يتمكن احد من الناس ان يحله الا من لقنوه ذلك ، واخذوا عليه بنفس الوقت العهود ان لا يبوح به الا للاهل . وقد مات هؤلاء وتواروا في التراب وتوارت معهم صنعة الذهب وبقيت سراً مجهولاً . ومهما حاولنا كشف القناع عن هذا السر فلا نستطيع لان كل عالم منهم وضع لنفسه رموزاً خاصة به وبمريديه فقط لا يطلعون احداً عليها مهما حاول . وكثير منهم من قتل ولم يبح بكلمة واحدة . والحق معهم في ذلك لان في الذهب قوام الهيئة الاجتماعية فان أبتذل اندك ذلك القوام وعمت الفوضى . ولايخفى انه عندما صنع الماس الصناعي في فرنسا وضع قانون يقضي باعدام كل من يصنع الماس صيانة لثروة الملوك والأسر الشريفة والمصارف الخ .

اما من يتردد من آونة الى أخرى الى دمشق وغيرها ممن يدعون صنع الذهب فهؤلاء قوم لصوص أشرار يعبثون بعقول السذج فيختلسون اموالهم ويذهبون . فان كانوا حقيقة يصنعون الذهب فلِمَ يموهون على الناس بالباطل وقداطلعهم الله على سر يغنيهم عن ارتكاب هذه الرذائل ؟ ولكنهم اتخذوا من الغدر واللصوصية اكسيراً يحولون به ذهب الناس الى جيوبهم ، لا النحاس فضة ولا الفضة ذهباً ! ! ...

احذركم ياسادة من الوقوع في فخهم فانهم نوم ماكرون ، ومن الله لا يخافون ، يستبيحون في نيل غرضهم هذا كل ما يخالف الدين والوجدان ، ولا يسألون عن سلطة ولا سلطان .

اذكر لكم يا سادتي نبذة من اعمالهم في دمشق وكثيراً ما هي : جاء رجل قبل الحرب العامة الى دمشق وقد ظنه القوم ولياً طياراً من ظواهره التي كان يخدع بها الناس . وقد وقع في شركه رجل مسكين فقد اخيراً ثروته وثروة امرأته وبعض ذويه . لان المحتال خلا به وهو في ضيافته يوماً وقال له يا ولدي نحن نصنع الذهب اذهب الى السوق واحضر معك كذا وكذا . فذهب المسكين لاحضار ما أمر به ونفسه تحدثه بالسعادة ولم يعلم ما خبأه له من المكيدة . وفي غيابه حضر بعض قطع الفحم ووضع فيها ليرة ذهبية واحكم سدها ، فجاء صاحب الدار باللوازم فوضع المحتال الزئبق في البوتقة واحاطها بالفحم من كل طرف ، ثم وضع الفحمة المحشوة على فم البوتقة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ووضع فوقها فحماً ايضاً للحصول على حرارة عالية واضرم النار ، وما هي الا ربع ساعة تقريباً حتى اخرج من جيبه زجاجة فيها بعض نقاط من ماء ذهبي اللون وقال : هذا هو الاكسير واتأسف لانه على وشك النفاد وصب ما فيها في البوتقة ، وبالطبع تبخر الزئبق خلال ذلك ولم يبق منه اثر وانصهرت الليرة من شدة الحرارة وانصبت داخل البوتقة فعندما تحقق ذلك ابرقت عيناه بالسرور وقال الحمد لله لقد نضج وصح العمل . ثم اخرج البوتقة وصب ما فيهـا بقالب حديدي صغير على شكل منشور مستطيل ودفعها بعد ان بردت الى صاحبنا وقال له اذهب الى الصاغة وبع هذه وموعد اجتماعنا غداً ان شاء الله .

ذهب الأبله وعرض قطعة الذهب على صائغ فتأمل فيهـا وفحصهـا على المحك وقال هذا ذهب بعيار ٢٢ واشتراها منه بقيمتها تقريباً . فجنّ الرجل واتى مسرعاً الى امرأته وقص عليها ما كان فقالت يجب ان تدعو الشيخ ثانيـة وتعمل كل الاساليب لارضائه علّه يمن علينـا بتعليمك هذه الصنعة (واخذوا يخمسون الرايات) ويبنون قصوراً شاهقة في الهواء على اساس من الماء .

قام الرجل والشمس لم تشرق بعد وذهب الى الشيخ وانحنى امامه ليقبل رجله . فأنكر عليه الحال وقال : ياشيخ لا تكن هكذا يجب ان لانتظاهر ، فأنا لا أطلع احداً على هذا السر ولو ملأ لي الدنيا ذهبـاً ، تكتم ما امكنك . والخلاصة ظل يواعده ويخلف حتى عيل المسكين صبراً واخيراً جاء اليـه وقال : يا رجل انما نمتنع عن المجيء لان الاكسير انتهى . فقال يا سيدي اصنع منه . قال جيد ولكن يحتاج الى خميرة من الذهب الخالص وكل درهم منه يكفي لقلب رطل من الزئبق او الرصاص الى ذهب خالص باذن الله .

فذهب الرجل الى امرأته يستشيرها فقالت : صحيح انك ابله هذه حلاي الذهبية ارهنها واعطه الدراهم التي ادخرناها ليعمل لنـا اكسيراً كثيراً تستغني به عن التعب (وتقعد انت في البيت بلا عمل كما خلصت النقطة نعمل طبخة وهكذا « تنبسط » « شوفي » بالدنيا غير الهم والكدر) . فقال : حقاً ما تقولين واخذ الاساور من ساعته وبيعها واحضر ٢٠٠ ليرة من دكانه وهي المال ورأس المال . فكان المجموع ٣٥٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليرة نقر بياً قدمها لصاحبنا (هدية باردة) فقال له بعد ان وضعها على الرف ولم يكترث بها : نعمل اليوم في الليل ان شاء الله خوفاً من الفضيحة وقام يصلي . فهبأ صاحب الدار ما لذ وطاب من الزاد فأكلوا وانبسطوا وجلسوا يتسامرون حتى قارب نصف الليل قام الشيخ وأوقد النار وأخرج من جيبه حشائش غلاها بالماء حتى قرب الجفاف فاستخرج مادة كالحبر الأحمر ثم وضع في البوتقة قطعاً من الرصاص واكثر من الفحم فاتقدت النار وأخذ يضع من آونة الى أخرى نقطة نقطة من حبره على الرصاص ويحرك ويعزم ويقرأ ويتمتم بعض كلمات غير مفهومة ، ثم قال له فجأة قم ونم يا رجل فقد صح العمل وتحتاج العملية الى تدبير على هذه النار ساعتين أخريين ايضاً وأصرّ عليه فامتثل الرجل خوفاً من غضب الشيخ وتفوره . وقام من ساعته ونام ومن شدة تعبه لم يستيقظ حتى مضى على بزوغ الشمس ساعة ونصف ، وقد أيقظته امرأته وقالت له اين الشيخ أفاق وهو يفرك عينيه وقال ربما يكون نائماً مسكين كم تعب في الليلة الماضية . هيئي القهوة ، هيئي الشاي . قالت لم أجد الشيخ مطلقاً قام كالمجنون وذهب الى غرفة الشيخ فلم يجد له أثراً وفتح الباب واخذ يفتش عليه في كل محل كان يتردد اليه فلم يعثر عليه وهكذا أضاع الشيخ وأضاع ماله وأضاع حلى امرأته وندم ولات حين مندم .

* * *

وزيادة على ذلك فان من يرى مثل ما رأى صاحبنا يتعلق بحب متكتماً وطامحاً في السعادة ويشتغل ولا يكاد يجمع شيئاً من المال الا وينفقه في هذا السبيل . والحق معه لان الرجل الذي يدرس في حياته ولم يطلع على المعادن وأشكالها وصفاتها ويرى لاول وهلة زئبقاً زجراجاً وفضة براقة لامعة وذهباً وهاجاً يُستَلبُ عقله ولا يستمع نصح ناصح مهما حاول في إقناعه بان هذه الطرق التي يتبعها عقيمة لا نتيجة منها .

وها انا ذا أجري لحضرتكم بعض التجارب البسيطة التي ربما يضحك من عملها صغار الطلاب :

« تجربة إحراق الماء » وضع سوائل غير ملونة واستحصال الوان مختلفة الخ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان الناظر اليّ لاول وهلة ممن لم يقرأ شيئاً من هذه العلوم يظن اني اعمل السحر او آتي بالعجائب او ابواب سيما وغير ذلك على انها في الحقيقة من ابسط البسائط لمن يعلم سرها ويعرف رموزها . وهكذا يا سادتي ان الذين صنعوا الذهب كتموه عن الناس ورمزوا له الرموز التي لو وقف على حقيقتها الانسان لعمل عملهم وتوصل لما توصلوا اليه على ايسر وجه .

رموزهم القديمة لا كرموزنا فان لم يتلقنها المتعلم بطول المدة من فم الاستاذ فلا يمكن ان يدريها او يعلم شيئاً منها . ومنذ قرأت قول الكيماوية الشهيرة مارية القبطية « اذا سمعتم في كتبنا بكليساً او هدماً او ضرباً او دلكاً او تحليلاً او تصعيداً فهو جميعه شيء واحد وهو نقع الطبائع في مائنا » رجعت بالخيبة . كيف يمكن الوصول ولم للقصدير مثلاً الاسماء الآتية : « القصدير ، المشتري ، انك ، ابرص ، صرار ، كوكب وكسر ، قلعي ، رخو ، كبريت ابيض ، زهرة بيضا ، القاضي ، الصابون ، النسر الطائر ، دماغ النحاس ، مهلك الاجساد ، السم الابيض ، الرخض ، المتن ، الزفر ، الاصفر ، السعد الاعظم ، حجر الأشمث ، زواش ، السادس » وللزئبق : « عطارد ، الماء الثقيل ، الجسد الرطب ، العبد ، الآبق ، الضرار ، السحاب ، البرق ، العنان ، روح الاجساد ، الماء الخالد ، الجسد السائل ، التنين ، ماء الحياة ، نطفة ، الطير الابيض ، الذهب السائل ، الملك ، اللؤلؤ الرطب ، الهوى المتجسد ، العنقاء ، هرمس ، الثاني الخ » وقس عليها بقية الاجساد المعدنية .

ويلخصون عملهم بقول بعضهم :

خذ الضرار والطلقا وشيئاً يشبه البرقا
اذا مازجتهم سحقا ملكت الغرب والشرقا

ولعمري ان من يحل هذا الرمز بعمل الذهب . ويعجبني جداً قول ابي قاسم العراقي فانه بعد ان ذكر طريقة العمل بقصة غريبة اذكر لكم شيئاً منها . قال :

وهذه الهيولى واحدة اعني من شيء واحد وليست من اشياء متفرقة ولا مخالفة ولا مختلفة لان الاشياء المختلفة المتفرقة اذا تركبت فرقها النار . وهذه المادة لا يمكنها تأثير صلاح دون نقعها وتركيبها حتى تظهر فيها هذه الخاصة . وانما احتيج الى تفصيلها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لعلة وهو ان الاكسير انما هو زراعة ذهب فاحتاجوا الى غذاء يدخلونه على هذا النوع وليغو و ينبع و يثمر فأخذوا من الأغذية ما يمازج ذلك النوع في حال الطبيعة ممازجة صلاح لا فساد لكن من جوهره فأدخلوه عليه برطوبة عفنتها وحلتها ولطفتها ، فلما لطفت صعدت الى اعلى الاناء غذاء لا ثفل فيه وفضل تحتها ثفل لطيف يسمى الملح ، فأصعدته بالنار اليابسة فطلع جرادة كجرداة الفضة خالصاً من سواد الارض وظلمتها وكثافتها وكان ارضاً محروثة وكان الغذاء الاول ماء كيموسياً فغرسوا في هذه الارض المحروثة جنينهم بل غصنهم وسقوه ماءهم الكيموسي مع التلطف بالتربية والحرارة اللطينة فطلع ذلك النبات المعدني وابنع واثمر والطف زهراً وخميراً سمياً يلقى على الورق فيصيره ذهباً اجود من ذهب المعدن . وهذه الهيولى المقومة لصورة الاكسير توجد في شجرة واحدة تطلع بارض المغرب منها فرعان عاليان لا يدركهما طالبهما الا بالجهد والتعب ليأكل من ثمرهما . وغصنان دونهما لكن ثمرهما اشد يبساً وتعليكاً من الاثنين المتقدمين ونور احدهما احمر والثاني ما بين البياض والسواد . وغصنان دونهما وهما ادهى وارخى من الاربعة المتقدمة ونور احدهما اسود والآخر ما بين البياض والصفرة . وهذه الشجرة تنبت في البحر المحيط على وجهه كما ينبت النبات على وجه الارض وهذه الشجرة التي من اكل منها خضع له الانس والجن . وهي التي نهي آدم عن اكلها فلما اكلها استحال من الصورة الملائكية الى الصورة الانسانية . وهذه الشجرة تنقلب في كل صورة من صور الحيوان . وقد توجد هذه الهيولى في طائر جثته جثة انسان وجناحاه جناحا طائر له اربعة ارجل ويدان ، اما ارجله فحقيرة واما يداه فعزيزتان لمنفعتهما ولو علم الجاهل ان اليدين لا قوام لهما الا بالاربعة ارجل لكان عليهما اشد حرصاً من اليدين . وقد توجد هذه الهيولى في جزيرة الاندلس الباردة في منتهى البحر المحيط الجامعة للكهوف الاسطبوسية . وربما توجد في جبل بارض الهند في صخور مختلفة الالوان والطعوم والاراييج والخواص . فمنها صخرة بأويها اسد شرس وربما كان حاميها واعلاها محيط باسفلها وادناها متصل باقصاها ورأسها موضع ذنبها و بالعكس ومنها صخرة يحملها حيوان بحري محترق مختلف المشي وهذه الصخرة لها قرنان يظهران في كون ولادتها حتى اذا مضى من عمرها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النصف عادت مدورة الجثة فاذا ذهب نصف عمرها عاد القرنان كما هما الى آخر عمرها وهذا دأبها في كل الاوقات ٠

ومنها صخرة يتداول على حملها حيوان شبق على عنقه جلة حيوان آخر مؤلف يحمل احد الثقلين وهذه الصخرة معدن الخبث والرداءة والمكر والغل ومنها صخرتان احداهما ذكر والاخرى أنثى وصخرتان احديهما مصرية والاخرى كرجية ، وفي هذا الجبل كل فن من فنون العالم ٠ لا يوجد حقد ولا مكر الا وهو فيه ، ولا يوجد علم وحلم وفلسفة الا هو فيه ، ولا يوجد حمد وسخاء الا وهو فيه ، ولا يوجد لهو ولا طرب وغناء ومزمار واوتار ونكاح ومزاح الا وهو فيه ، ولا يوجد وزارة وزير ومشير ومدير الا وهو فيه ، من ارض الهند ملك ومن ارض مصر حكيم ومن ارض فارس سباق ٠

فهذه اوصاف هذا الجبل وما فيه من العجائب فافهم فانها اشارات الحكماء بينهم معناها من كان للحكمة اهلاً ومن هو بالرموز وفكها اولى ، واعلم انا قلنا كذا وكذا لما كان لنا في ذلك والله فضل ولكان يؤخذ منا على سبيل الاستهزاء ٠ وقد اتكلناك على عقلك بعد الله ونم من اتكلناك عليه والحمد لله وحده ٠ فان فهمت وكنت عالماً بلغتنا نجحت والا ننصحك ان لا تضيع مالك ووقتك ودينك لانا اهل مدينة لا يمكن الدخول اليها الا من يعلم بلغتنا ٠ وقال صاحب الشذور :

اذا كنت في حل الرموز مدانيا ... اخانا فقد نلت الذي كنت راجيا
والا فلا ترتع بهـا فهي روضة ... قـد امتلأت للرائدين افاعيا

الى ان قال :

تمني رجال من ذوي الجهل علمنا ... وما كل ذي علم ينال الامانيـا

ثم يقول :

هي الصنعة المضروب من دون نيلها ... من الرمز اسوار تشيب النواصيا
ولكنهـا ادنى اذا كان عالماً ... الى المرء من حبل الوريد تدانيا
واني لاستحيي من المرء يرتمي ... به الظن في فكر الرموز المراميا
ولم يجعل العلم الرياضي روضـة ... وكان عن العلم الالآهي لاهيـا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اعد نظراً فالظن كالعين لا ترى على البعد اجرام الجسوم كما هيا
أبالظن والتخمين يدرك سرنا وقد بلغت فيه النفوس التراقيا

* * *

كأن لها منها عليها أدلة ومن رمزها فيما يضلك هاديا
ولكننا لا نمتري ان دونها سنيناً ترى ايامهن لياليا
أنورثها من بعدنا شر عصبة كهولاً وشباناً وشيباً شواسيا؟
تحاول ان تغشي بها كل منكر ونأمل منها ان تبيح المعاصيا
فلم نختلف في ان نواري علمنا باجداث رمز لا تجيب البواكيا
ليدرك منها غابر الدهر سرنا جديداً وان كانت طروساً بواليا

* * *

فما قول بعض اخواننا الذين خدعوا بهذه الصنعة الخلابة المملوءة بالآمال وكلها أحلام نائم ، ولا يزالون يواصلون ليلهم بالنهار . فقد أضاعوا ثرواتهم واموالهم واوقاتهم ولم يحصلوا على شيء وقد شابت نواصيهم وهم غافلون .

أفيقوا يا اخواني واستيقظوا من سباتكم فكل الطرق التي سلكتموها عقيمة لا توصلكم لشيء وكل هذه الآمال خيالات وأوهام وهي كالسراب ، يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً .

عبد الوهاب القنواتي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net